أطبيب قاتل .. أم محب أمين ؟!

قضية «الدكتور كريبن» وعشيقته «أثيل لنيف»

...عندما اتهم «كريبن» بقتل زوجته والتمثيل بجثتها كان اذ ذاك فى الخمسين من عمره .. فهل يمكن أن يقترف رجل مثقف مهذب فى هذه السن جريمة بشعة كهذه ؟ !

لقد حار كبار رجال القانون في أمر هذا الرجل فبعضهم أسماه الطبيب القاتل . . وقال عنه آخرون أنه محب صادق أمين . . .

لا ريب أن سنوات عديدة أخرى سوف تمضى قبل أن تنسى تفاصيل محاكمة الدكتور « هاولى هارفى كريبن » التى تمت بانجلترا فى خلال عام ١٩١٠ ، وليس هذا براجع إلى أنه من بين أصحاب المهن الشريفة والحرف الرفيعة الذين يثير وقوفهم أمام القضاء تحت وطأة الاتهام ، الاهتمام البالغ مع كثرة الحديث والتعليق . . بل أنه راجع إلى أن الجريمة التى أسندت إلى المتهم كانت من الفظاعة والبشاعة بمكان كبير ، إلى حد أنها أثارت نفوس الجماهير والمحلفين معاً ، وجعلت هذه النفوس التى كانت مهيأة فى أول الأمر للعطف على الدكتور المتهم الذى اشتهر بدماثة الخلق وبنزعته الإنسانية تلقى بهذا العطف وراءها ، وتمضى قدما فى سبيل دفعه دفعاً إلى حبل المشنقة ! .

ومن الغريب أن تصرفاً بسيطاً قام به الدكتور « كريبن » فجأة هو الذى أدى إلى اكتشاف الجريمة التى اتهم باقترافها ، ولو لم يكن قد قام بهذا التصرف ، لكان قد نعم بقية سنى حياته فى الهناء الذى كان يحلم به مع عشيقته ! ففى الوقت الذى لم يكن هناك أى شك يرتقى إليه ، هرب فجأة متنكراً مع هذه العشيقة . . وهكذا بدأت سلسلة طويلة من الإجراءات انتهت بفقدانه حياته وبتقديم عشيقته التى كان يحبها أكثر من نفسه إلى القضاء ، حيث تأرجحت حياتها بين البقاء والفناء ، إلى أن قيض الله لها رجالا محنكين مهرة — على رأسهم « الإيرل

أوف بيركنهيد » — جعلوها تفلت إفلاتاً من المصير الذى كان ينتظرها ، أو على القليل تنجو من سنوات طويلة من السجن والتعذيب !

وكأن الله قد أراد أن يجعل اسم الدكتور « كريبن » خالداً لدى رواة الحوادث الجنائية ، بل فى الكتب التى تهتم بدراسات الجريمة والإجرام ، ذلك لأن القبض عليه تم بواسطة الاستعانة باللاسلكى لأول مرة بعد ظهور هذا الاختراع العجيب . . شأنه فى ذلك شأن المجرم « تاول » الذى كان اختراع التلغراف سبباً فى مفاجأته قبل هربه . . فقد ارتكب جريمة قتل فى « سلاو » ثم استقل القطار الذاهب إلى لندن ، فبعث رجال البوليس إلى زملائهم هناك بأوصافه . . وما أن وطأت أقدامه محطة « بادنجتون » بلندن حتى وقع فريسة سهلة وغنيمة باردة فى أيدى رجال البوليس ! .

وعندما اتهم الدكتور « كريبن » بقتل زوجته والتمثيل بجثتها كان إذ ذاك فى الخمسين من عمره . . وهنا يحق لنا أن نتساءل : هل هذه السن هى التى يمكن أن يقترف فيها رجل مثقف مهذب مثل الدكتور « كريبن » جريمة بشعة كهذه ؟ ! إن الرد على ذلك هو فى الأغلب بالنفى . . ويؤيده أن الإحصاءات دلت على أنه من النادر أن يبدأ الإنسان فى ارتكاب جرائم خطيرة فى مثل هذه السن المتقدمة . . إذ أنه لو كان الإجرام لدى الشخص موجوداً فى دمه مستأصلا فيه لارتكب حتما جريمة من

الجرائم الخطيرة — أو حتى غير الخطيرة — فى سنوات حياته الأولى لا بعد أن يسلخ نصف قرن فى عيش شريف محترم . . وفضلا عن ذلك كله فإنه قيل أن الدافع على ارتكاب الدكتور البائس لجريمته هو الحب ! فهل يعقل أن شخصاً بلغ الخمسين من عمره يقدم على ارتكاب جريمة قتل لمجرد الحب ؟ !

لقد كان على القضاة والمحلفين الذين مثل أمامهم الدكتور « كريبن » فى عام ١٩١٠ أن يجيبوا على كل هذه الأسئلة . . وبالرغم من المجهود المضنى الجبار الذى بذله الدفاع عنه ، فإن حياته لم تنج من المصير الذى كتب لها . .

* * *

نشأ « كريبن » فى « متشجان » بالولايات المتحدة الأمريكية ... وطاف فى حداثته وشبابه بمدن عديدة بهذه الولايات دارساً للمسائل الطبية . . إلا أنه لم يحصل إلا على أجازة علمية واحدة من مستشفى الرمد بنيويورك وذلك فى عام ١٨٨٣ ، عند ما كان فى الواحدة والعشرين من عمره . . وعلى الأثر زار لندن وانخرط فى سلك المتمرنين بمستشفياتها . على أنه ما لبث أن عاد إلى أمريكا حيث استأنف طوافه بالمدن الهامة مثل « دترويت وسنتياجو ، وسولت ليك ستى ، ونيويورك ، وفلادلفيا » . دون أن يستقر فى واحدة منها أكثر من عامين متتابعين .

وفى عام ١٨٨٧ — وكان عمره قد جاوز الخامسة والعشرين بقليل — تزوج للمرة الأولى من إحدى مواطناته ، إلا أن زوجته ماتت بعد سنوات قليلة بعد ما خلفت له طفلا بقى فى أمريكا وشب بها . . وكان يعمل بمدينة كاليفورنيا عند ما حوكم والده فى عام ١٩١٠ بلندن !

وسرعان ما تعرف « كريبن » بعد ذلك إلى فتاة جميلة . . لم تكن أمريكية أو إنكليزية . . بل كانت من والدة ألمانية ووالد روسى بولندى . . وبالرغم من معارضة أصدقائه فكرة زواجه منها ، إذ لم يكن سنها قد جاوز السابعة عشرة . . إلا أن « كريبن » عقد قرانه عليها فى عام ١٨٩٣ . . وفى عام ١٩٠٠ رحل معها إلى انجلترا ليستقر هناك ، إذ تمكن من أن ينال مركزاً ثابتاً فيها كمدير للقسم الإنجليزى لإحدى شركات الأدوية .

وبالرغم من أن هذه الزوجة الثانية كانت تسمى قبل زواجها « كوينجند ماكاموتسكا » إلا أنها كانت تطلق على نفسها فى الوقت نفسه اسماً أمريكياً هو « كورا تيرنر » ! وعند ما رحلت مع زوجها إلى لندن راق لها أن تختار اسما ثالثاً ليس هو اسم « مسز كريبن » على كل حال ، بل اسم فنى هو « بل ألمور » إذ استقر رأيها أن تقتحم ميدان المسرح الغنائى لاعتقادها بأن صوتها ذهبى نادر ! والحق أن زوجها لم يمانع رغبتها هذه ، بل ساعدها بكل قوته وماله وجوارحه . . ولكن ما ذنبه وقد لاقت فشلا ذريعاً . . إذ اضطرت إلى مغادرة

المسرح بعد ظهورها بدقائق بناء على طلب الجماهير الصاخبة ؟ !

ولكن هذا الفشل السريع لم يقنعها بالابتعاد عن الدوائر الفنية . . بل تمادت فى الاندماج فيها . . مكلفة زوجها المال والراحة . . وياليتها حمدته وشكرته بعد ذلك ، بل إنها كانت تعمد دائماً إلى إهانته أمام صديقاتها وصديقاته وزائريهما . . وإلى تحقير آرائه وأفكاره كلما سنحت لها الفرصة لذلك . . كل هذا وهو ساكت قانع . . مضح بكل مالديه وما يملك . . معتقد فى قرارة نفسه بمواهب زوجته وكفايتها . . فى الوقت الذى كان الكل يتنكر لها فيه !

وتبعاً لهذا الاهتمام غير الطبيعى من جانب الزوجة للشئون الفنية . . كانت إدارتها لمنزلها فى منتهى السوء . . ودلت دلائل كثيرة على أن حياتهما الزوجية داخل المنزل كانت سلسلة متقطعة من النزاع والشجار وعدم الراحة وفقد الاستقرار . . ولذلك كان من الطبيعى أن يلقى الزوج بنفسه بين أحضان أية امرأة أخرى تبادله الحنان . . أو العطف . . أو حتى مجرد الحديث ! وقد وجد « كريين » كل هذا فى شخص فتاة جميلة وديعة تعمل على الآلة الكاتبة بشركته . . هى : « أثيل له نيف » وما لبثت صداقتهما البريئة الأولى أن انقلبت حباً عنيفاً عميقاً . . ومما لا ريب فيه أن الفتاة كانت تبادل الرجل الحب . . لأنها كانت تعلم بأمر زواجه ، كما كانت تصغره سناً بكثير . . ومع ذلك فلم تحاول أن تخدعه أو تتركه فى منتصف الطريق ! .

وفى وسط هذه الأحوال المضطربة . . وبعد عشر سنوات من وصول « كريبن » وزوجته إلى لندن . . وتعرفه هو إلى كاتبة الماكينة . . لاقت الزوجة حتفها فجأة ! !

أما طريقة معرفة الكافة — وعلى الأخص أصدقاء الزوجة — لهذه الوفاة فكانت عجباً . . إذ أنه فى فبراير من عام ١٩١٠ أعلن الدكتور « كريبن » بأن زوجته رحلت فجأة إلى أمريكا . . وبعد قليل نشر فى الصحف بأنها ماتت . وفى اليوم العشرين من هذا الشهر بالذات — فبراير عام ١٩١٠ — بدأ الدكتور يظهر فى المجتمعات العامة والمراقص مع عشيقته « أثيل له نيف » بعد أن كانت علاقته بها التى استمرت سنين طويلة سراً دفيناً كامناً .

ولو كان الأمر قد وقف عند هذا الحد لما أثار تعليقاً وفضولا شديدين . . ولكن « كريبن » تمادى فى إظهار حبه وعشقه الدفين . . فجعل يراقص أثيل علنا وهى تتحلى بجواهر زوجته السابقة الراحلة . . وترتدى ملابسها الفاخرة . . وبعد قليل دعاها للإقامة فى « هيلدرب كريسنت » حيث كانت تقيم الزوجة المتوفاة . . وظلت باستمرار تقيم معه حتى شهر يوليو . . فيما عدا فترة قصيرة قضتها معه فى نزهة إلى « دييب » .

وكان طبيعياً ألا يرتاح أصدقاء « كوراتيرنر » أو « بل ألمور » إلى سلوك الدكتور « كريبن » . . ولكنه لم يلق بالا إلى عدم ارتياحهم . . الأمر

« بل المور »

الذى اضطرهم إلى تنبيه البوليس لأمره ، مبدين شكوكهم فى تصرفاته وفى الطريقة التى أعلن بها وفاة زوجته ! .

انتدبت « سكوتلانديارد » المفتش « دو » لبحث الأمر . . فلم يلبث أن قصد مباشرة إلى الدكتور « كريبن » فى مكتبه وقد شرح له هذا كيف أن زوجته اللعوب قد خانته فهربت مع صديق لها إلى أمريكا . . وكيف أنه علم بعد ذلك بوفاتها . . وقد رأى المفتش بعد ذلك أن يقصد إلى منزل الدكتور الذى كانت تقيم فيه الزوجة . . وهناك وجد « أثيل له نيف » تقوم بدور ربة البيت علناً ، فدهش وتأكد من شكوك أصدقاء الزوجة . . ولكنه لم يبد أى تصرف غير طبيعى ، إذ رأى أن مثل هذه المسائل إنما هى من شئون الدكتور الشخصية الخاصة !

وقد كان من الممكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد ! ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان . . فبعد ثلاثة أيام من زيارة المفتش « دو » للدكتور « كريبن » فى منزله رأى أن يقصد إلى هناك لمجرد جمع بيانات عامة . . ولكنه فوجىء بغلق المنزل . . وبعدم الاهتداء إلى مقر ساكنيه ! وهنا وجد المفتش أنه من الأصوب السير بإجراءاته إلى نهايتها بعد أن تقوت الشكوك لديه هو الآخر . . فأخذ يفتش المنزل وينقب هنا وهناك ! . . وفى النهاية وصل إلى المخزن الأرضى به ، حيث عثر أسفل بلاطه على أشلاء جثة الزوجة المتوفاة ! !

وهنا بدأ العمل السريع الذى هز قارتين بأجمعهما . . أوربا وأمريكا . . فقد دل البحث على أن الدكتور « كريبن » وعشيقته قد هربا إلى القارة الثانية . . فكيف الوصول إليهما ؟ !

لقد تأيدت لديه الأنباء الآن بأن « الدكتور وأثيل » قصدا معاً فى اليوم التالى لاستجوابهما لأول مرة — أى يوم ٩ يوليو — إلى روتردام ، ثم إلى « أترخت » بهولندا بعد أن تنكرت الفتاة فى زى صبي . . وأنهما استقلا معاً الباخرة « مونتروز » إلى أمريكا فى العشرين من نفس الشهر . . ولم تتأيد هذه الأنباء إلا بعد إبحار الباخرة فعلا . . وبعد أن نشرت الصحف بيانات وافية عن الحادث وعن أوصاف الدكتور وعشيقته . . فكيف السبيل إلى الإمساك بالطائرين الهاربين من القفص ؟ !

ولحسن الحظ — أو لسوء حظ الدكتور وعشيقته — أن كانت الباخرة « مونتروز » قد جهزت بالاختراع الجديد « اللاسلكى » فما أن لاحظ ربانها الدكتور ومعه الصبي المتنكر حتى ارتاب فى أمرهما ، وعلى الأخص بعد أن لاحظ أن ما يبدو من علاقة بينهما ليس مما يبدو دائماً بين والد وابنه . . فبعث إلى أوروبا برسالة لاسلكية يوضح فيها شكوكه هذه . . وما لبث المفتش « دو » أن استقل مركباً سريعاً ووصل به إلى القارة الأمريكية قبيل وصول الباخرة مونتروز . . وما أن رست هذه إلى البر حتى صعد إليها المفتش فكان بذلك أول المستقبلين — غير المنتظرين

بالطبع ــ للوالد والولد المزعومين ! ! وهكذا كانت القارتان تتحدثان عن الجريمة وعن المتهمين . . وهذان الأخيران سابحان فى خيالات الحب وأوهامه . . وسط المحيط الأطلانتيكى عبر القارتين، دون أن يدركا الخطر الذى كان عليهما مواجهته سريعا ! !

وأعيد الدكتور « كريبن » و « أثيل له نيف » إلى انجلترا . . بعد أن ألقى القبض عليهما . . وسرعان ما قدم الأول إلى المحاكمة بتهمة قتل زوجته بواسطة دس السم لها، إذ تبين من الكشف الطبى الذى أجرى على أشلائها المتقطعة أن مادة مخدرة سامة كانت هى السبب فى وفاتها قبل تقطيع أوصالها !

ومثل الدكتور «كريبن» أمام قضاة محكمة « الأولد بيلى » فى ١٨ أكتوبر من عام ١٩١٠ . . وبدا فى المكان المخصص للاتهام ببزته المهندمة وأناقته التامة وقد تمالك أعصابه إلى حد كبير، وأخذ يشرح فى هدوء وبأسلوب عال أمره . . ويفند الأدلة الموجهة إليه . . ناكراً فى شدة أنه دس السم إلى زوجته الراحلة أو أنه قتلها ومثل بجسمها ! وقد برر عندذاك وجود جثتها فى المخزن الأرضى للفحم بالمنزل بأن قاتلها الذى اعتدى عليها هو الذى فعل ذلك . . وأنه ــ أى « كريبن » ــ عاد ذات مساء إلى منزله فلم يجدها به، ولأنه كان يعلم بأنها على صلة برجل آخر، فقد أدرك فوراً بأنها هربت معه، إذ لم تكن قد تركت له أية

رسالة ، وفى الحال أعلن لأصدقائه وأصدقائها نبأ سفرها إلى أمريكا حتى لايتعرض كبرياءه لأى خدش .. وبعد قليل أعلن نبأ موتها على أثر مرض .. وذلك بعد أن تأكد من عدم عودتها خشية أن يتعرض اسمه للفضيحة والعار !

وأضاف « كريبن » إلى ما قرره بأنه رأى من الأصوب استدعاء « أثيل له نيف » للإقامة معه استعداداً للزواج منها بعد ذلك .. فلما رأى البوليس قد تدخل فى الأمر ووضع أنفه فيه وخشى أن يضطر إلى الاعتراف بأن زوجته قد هربت مع عشيق لها ، وأنه غير متأكد تمام التأكيد من وفاتها مما يؤدى إلى هدم عشه الجديد الذى كان يريد أن يبنيه .. فضل الهرب إلى أمريكا مع « أثيل » حتى ينسى أمر زوجته ، فيعود إلى حالة جديدة من العيش والاستقرار .. ولكن كان أن كشف البوليس الأمر — أمر الجثة — التى لا يفهم عنها شيئاً بالمرة . وقد أصر على إنكاره هذا طوال مدة المحاكمة بالرغم من نصيحة محاميه له بالعدول عنه والاعتراف بتعديه على زوجته فى فترة غضب .. أو بإعطائها المخدر أصلا دون رغبة منه فى قتلها .. وموتها تحت تأثيره دون قصد منه ! .

وعاد الدفاع عن المتهم وقرر بأنه يشك فى شخصية المرأة التى عثر على أشلائها فى قبو المنزل .. وقال « كريبن » نفسه بأنه قد لا تكون الجثة لزوجته .. وقد تكون لامرأة أخرى دفنت هناك فى وقت ما ..

« هاولى هارفى كربن »

والحق أن هذه المفاجأة من الدفاع استدعت أبحاثاً طبية فنية طويلة ، إذ كانت الجثة التى عثر عليها البوليس مشوهة تمام التشويه وممثلا بها أعظم تمثيل حتى استحال تقريباً معرفة شخصية صاحبتها . . إلا أن الدكتور « السير برنارد سبيلسبرى » مثل أمام القضاة والمحلفين ، وأبدى بيانات عديدة خلص منها إلى أن الجثة إنما هى لزوجة الدكتور كريبن المختفية . . وكان الدكتور عندئذ يعد أمهر أطباء وزارة الداخلية البريطانية المختصين بمثل هذه الأبحاث الطبية الشرعية . . وقد دانت له شهرة عالمية فى مثل هذا الضرب من ضروب الطب شهرة بنيت على توفيقه فى كثير من الأبحاث فى حوادث وجرائم كثيرة كانت دونه ستظل فى خبايا الأسرار وباطن النسيان ! .

وقد كان الدفاع يعلق أهمية بالغة على بلبلة أفكار المحلفين أثر أثارته لمسألة شخصية صاحبة الجثة ، وخشى كثير من أصدقاء زوجة كريبن أن يضيع دمها هباء . . وشحذت عزائم المناصرين للدكتور كريبن فى سبيل الوصول به إلى بر السلامة . . كل هذا والمتهم نفسه متمالك لأعصابه ، ضابط لزمام نفسه إلى حد يستلفت النظر .

على أن كل هذه المحاورات والمداورات الفنية لم تجد فتيلا . . لأن المحلفين ما لبثوا أن عادوا بعد مداولة قصيرة إلى تقرير إدانة الدكتور كريبن . . وقبل أن ينطق القاضى بحكم الإعدام أعطى المتهم الكلمة

الأخيرة . . فقالها . . معلنة براءته من دم زوجته براءة تامة . . وبعد أن نطق القاضى بالحكم لم تفلت أعصاب المتهم من سيطرته الشديدة عليها . . بل نزل درجات قفص الاتهام فى ثبات تام شأنه فى ذلك شأن المطمئن إلى سلامة مركزه ومتانة قضيته وعدالتها .

ومن الغريب أن الدكتور « كريبن » لم يفكر بعد الحكم عليه بالإعدام إلا فى « أثيل له نيف » مستبعداً تماماً أمر التفكير فى نفسه . . وبالرغم من أن استئنافه الذى رفعه عن الحكم قد رفض . إلا أنه استمر فى تحرير الرسائل التى دأب على تحريرها فى السجن إلى « أثيل له نيف » والتى تعد من خير ما يمكن أن يكتبه عاشق إلى عشيقته ، بل أنها لتعد من أحسن وأرفع القطع الأدبية سمواً فى التفكير وسلامة فى البيان . . وكان كل ما يصبو إليه الدكتور كريبن أن يقتنع العالم ببراءة « أثيل » من الاتهام الذى ألصق به والذى قضى حكم القضاء بإثباته عليه . . والذى نتج عنه أن قدمت أثيل إلى المحاكمة على أساسه بتهمة الاشتراك معه فى القتل .

وقد كان يوم ٢٢ أكتوبر هو اليوم الذى صدر فيه الحكم بإعدام الدكتور « كريبن » . . ولكن تنفيذ الحكم تأجل إلى يوم ٢٣ نوفمبر ، فتمكن بذلك من أن يعلم قبل أن يصعد سلم المشنقة أن عشيقته الشابة قد برئت ساحتها من تهمة الاشتراك ، فابتهج ارتياحاً وامتلأ بشراً . . وهكذا حق

عليه الوصف الذى خلعه « الإيرل أوف بيركنهيد » عنه . . « كريبن الرجل الشجاع . . والمحب الحقيقى ! ! » .

والحق أن « كريبن » كان رجلا شجاعاً ومحباً حقيقياً . . ولعل أكبر دليل على ذلك تلك السيطرة التامة على أعصابه . . وهو الرجل الوديع الدمث الأخلاق دائماً ، والذى لم يعتد مواقف الاتهام وحلبات القضاء . .

وقد كانت المرة الوحيدة التى خانته أعصابه فيها ، يوم أن تلقى رسالة وداع من « أثيل له نيف » قبيل إعدامه بيوم واحد . . ولكنه تجلد بعد قليل وطلب أن تدفن رسالتها وصورتها معه فى رقدته الأخيرة ! .

* * *

وقبل أن نختتم فصول هذه القضية . . يجدر بنا أن نشير إلى ما كان من أمر « أثيل له نيف » . . فقد حوكمت ، كما ذكرنا ، بتهمة الاشتراك فى قتل « المسز كريبن » . . وكانت محاكمتها أمام « الأولد بيلى » أيضاً ، وبعد أن نزل منها الدكتور « كريبن » لآخر مرة بثلاثة أيام . . أى فى يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٠ .

وقد كان أمر الحكم بثبوت التهمة عليها أمراً متوقعاً جداً بعد أن حكم بإعدام عشيقها الدكتور « كريبن » . . ولكن الجماهير نسيت مقدرة « الإيرل أوف بيركنهيد » الذى تولى الدفاع عنها . . فما أن ووجه بالاتهام الخاص بموكلته حتى هبّ مطالباً بإثبات التهمة عليها . .

وعبثاً حاول ممثل الاتهام السير « رتشارد ميور » أن يلقى بهذا العبء على الدفاع . . إذ تمسك « المحامى » بأن موكلته بريئة حتى تثبت إدانتها . . ولكن كيف يمكن للسير « رتشارد » إثبات اشتراك « أثيل له نيف » فى دس السم والقتل مع الدكتور « كريبن » ؟ ! إن كل ما قاله هو أنها كانت تقيم مع الدكتور ، وأنها تنكرت فى زى فتى ورحلت معه إلى أمريكا عقب الحادث . . ولكن هل يكفى هذا لإشراكها فى الجرم وفى استحقاق العقوبة ؟ !

لقد تمكن ممثل الدفاع من أن يهدم هذه الأدلة الواهية بقوله : . وهل يعقل أن يتقدم الدكتور « كريبن » إلى عشيقته ويقول لها : هيا نقتل هذه التى تقف عثرة فى طريقنا ؟ ! وهاهى حليها وملابسها فارتديها واظهرى بها أمام الناس ؟ . . وهكذا استمر الدفاع فى الضرب على هذه النغمة التى تجعل « كريبن » مذنباً حقيقياً . . والفتاة كأنها آلة يحركها لا تعرف مايجرى وراءها أوأمامها . . ولم يكن هناك أى ضرر على « كريبن » الذى كان فى طريقه فعلا إلى المشنقة !

أما « أثيل له نيف » فقد حكم ببراءتها فى نفس اليوم الذى ارتقت فيه منصة الاتهام . . وقد خرجت بعد ذلك من المحكمة لتسافر إلى أمريكا بعد ما أعدم عشيقها . . وبعدئذ لم يسمع أى شىء عنها ! .

* * *

وبالرغم من أن « الإيرل أوف بيركنهيد » كال المسؤلية كلها على الدكتور « كريبن » المسكين فى سبيل تبرئة « أثيل له نيف » . . إلا أنه كان يعتقد فى قرارة نفسه ببراءة الدكتور ! بل أنه وصفه بالشجاعة والنبل واستبعد أن يكون قاتلا . . ولم يكن هو وحده من كبار المشتغلين بالقانون والمسائل الجنائية الذى اعتقد ببراءة « كريبن » . . بل أن المحامى الجبار السير « إدوارد مارشال هول » ظل يتحدث عن هذه القضية فترة طويلة ، وقال فى تعليل الحادث : إن كريبن كان يدس مادة مخدرة لزوجته حتى تنام فيتمكن بذلك من البقاء فترات طويلة خارج منزله بين أحضان عشيقته . . إلى أن اكتشف ذات ليلة بأن زوجته قد ماتت تحت تأثير المخدر ففعل بجثتها ما فعل . . أى أنه لم يقترف جريمة القتل عمداً أبداً . . بل كان ضحية ولعه وحبه لحسب ! .

ولقد هاجم خصوم « السير مارشال هول » ، هذا الرجل بصدد هذه القضية — قضية « كريبن » — واتهموه بالنكول عن الدفاع عن الطبيب البائس فى الوقت الذى أخذ فيه يتغنى ببراءته من دم زوجته ! إلى أن كشف الستار فيما بعد عن سر قعود المحامى الكبير عن أخذه مهمة الدفاع وتبين أن أولئك الذين تولوا نيابة عن « كريبن » محادثة المتصلين بالسير مارشال ليأخذ مركز الدفاع فى القضية طلبوا منه إرجاء سداد أتعابه إلى مابعد الفصل فيها أمام المحكمة . . ولم يكن لهذا الطلب إلا تفسير واحد : وهو أنهم كانوا يعلمون

مقدماً بما ستثيره هذه المحاكمة من اهتمام بالغ ووقع شديد لدى الرأى العام . . وأن الصحافة كلها ستشير إليها فى صفحاتها الأولى وبعناوين بارزة . . فما أسهله من ربح ذلك الذى سيجنونه عند انتهاء المحاكمة سواء أدين كريبن ، أو برىء . ففى الحالة الأولى ينشرون بطريقة مؤثرة جذابة ـ وبعد اعدام البطل طبعاً ـ اعترافاً معداً من قبل . . وفى الثانية يعمدون إلى نشر مذكرات غرامية وعاطفية له . . وفى كلا الحالين يقبضون من الصحف التى ستنشر « الاعترافات » أو « المذكرات » مبالغ ضخمة ويمكن لهم عند ذاك دفع أتعاب المحامى الكبير !!.

ولقد كان « السير هول » بعيد النظر حقاً . . لأنه حدث بعد أن لقى « كريبن » حتفه على المشنقة . . أن نشرت صحيفة يومية كبيرة « اعترافات » قيل أن الدكتور المذنب قد سجلها قبل إعدامه . . وأحدث نشر هذه الاعترافات ضجة كبرى . . وأجرى ولاة الأمور تحقيقاً واسع النطاق سمعت فيه أقوال موظفى السجن الذى كان ينزل فيه « كريبن » قبل وفى أثناء محاكمته . . كما سمعت فيه أيضاً أقوال كل من اتصل به الرجل فى تلك المدة . . ففى الكل أنه اعترف بارتكابه الجريمة . . بل أشاروا إلى اصراره على الانكار التام وإلى ما كان يبديه دواماً من سخرية من أولئك الذين يرمونه بتهمة القتل . وكان نتيجة هذا التحقيق اتهام محام معروف يدعى « أرثر نيوتن » باصطناع هذا الدفاع ونشره لجنى ربح من ورائه . . ولقد لقى هذا المحامى جزاء أساءته إلى شرف مهنته وإلى « المذنب » نفسه . . فمثل أمام جمعية القانون التى قررت تأديبه . .

ولقد حاولت كثير من الصحف الواسعة الانتشار بعد ذلك أن تتعرض إلى الرجل وأن تنسب إليه أقوالا يفهم منها أنه هو الذى قتل زوجته فى سبيل عشيقته ؛ ولكن الجماهير كانت تأبى على هذه الصحف أن تتعرض لهذا الرجل بعد موته بشىء من هذا القبيل . . فاضطرت صحيفة كبرى إلى التوقف عن الصدور وقتاً ما بسبب غضب هذه الجماهير . . التى عدته بطلا لقى حتفه نتيجة خطأ قضائى ! !

وهكذا ظل الناس فى حيرة من أمر هذا الطبيب المسكين . . أهو مجرم قاتل . . أم محب أمين ؟ !